1 تمهيد

العمران أو التعمير هو التفكير و التخمين النظري حول الأشكال العمرانية و التطبيق العملي لهذا التفكير و إسقاطه على المجال. و التخطيط العمراني و الرقابة لعمليات التعمير من طرف السلطات السياسية، المقصود بالتعمير هنا نمو المدن (النمو الحضري هو زيادة عدد سكان الحضر و ما يتطلبه من مجال لتجسيد احتياجات هذه الزيادة).

التوتر و التشنج ما بين التعمير العفوي بدون مخطط معد مسبقا و الإرادة من طرف السلطة لتأطير النمو الحضري جد قديم. تحمل مخططات المدن العتيقة في مورفولوجيتها الأثار المتتالية للنمو العفوي و التخطيط. هذه الأثار واضحة و سهلة القراءة من خلال مخطط الطرقات: طرقات و ممرات ملتوية مشيرة لتطور و نمو تدريجي، تبعا لشبكة ممرات موجودة مسبقا، هذا ما تجسده النسج العتيقة للمدن العربية و الأنوية الأولية للمدن الأوروبية للعصور الوسطى و كذا *Broadway* [1] بنيويورك الذي يتبع المخطط القديم للمسار غير المعبد للأمريكيين الهنود. على عكس ذلك المخطط الهندسي الشطرنجي *hippodamien* المتعامد تشير لإرادة تخطيطية، فالمدن الاستعمارية و المدن الجديدة و العواصم لما بعد العهد الاستعماري (برازيليا مثلا أسست من عدم *ex-nihilo*) مثالا حيا لذلك .

ملاحظة:

في التعمير العفوي السكنات هي من أوجد أو أحدث الطريق أما في التعمير المخطط فالعكس الطريق من أحدث و أوجد البنايات.

يعتمد التخطيط على مستويات عدة، كبيرة للهيكلة العمرانية للقطر الوطني و صغيرة على مستوى الحي تتباين على إثره اللغة العمرانية المستخدمة من سياسات إعادة التوازن إلى سياسة التهيئة الاقليمية. كما

[1] ***Broadway*** est un des principaux, et le plus connu, axes nord-sud de l'arrondissement de Manhattan, le quartier central de la ville de New York.

نشير هنا أن التخطيط ليس بتصور حيادي بل خاضع لمشروع سياسي تبصمه صبغة إيديولوجية، غالبا ما يكون التخطيط العمراني أداة و وسيلة في يد السلطة السياسية لاستعادة السيطرة على الكيانات الحضرية المستعصية على شاكلة تدخل البارون هوسمان – النسيج العتيق لمدينة باريس – إبان الامبراطورية الثانية، و حتى نهاية القرن العشرين خدم التخطيط العمراني المشروع السياسي و الاقتصادي للمدينة النيوليبيرالية بالركون لمفهوم المشروع العمراني الذي يعتمد على الشراكة مع القطاعين العمومي و الخاص لأجل تعزيز المنافسة للمدن في سياق المنافسة الدولية لاستقطاب رؤوس الأموال و حتى السياح، لكن كل هذا يتم على حساب السكان الذين من منظور النيوليبرالية غير مرغوب فيهم (مواطنين دون مأوى، فقراء، أقلية إثنية، معارضين سياسيين). فيما يلي نستعرض مفهوم المدينة و خصائصها ثم المدينة كنسق عمراني بدوره يساعد على تبني تصور واضح للتخطيط العمراني.

2 المدينة كمجال مركب:

ارتبط وجود المدن بالظواهر الاجتماعية و الاقتصادية كمحرك للتاريخ البشري، فدراسة مدينة ما تستدعي المساهمات التي تقدمها مختلف الاختصاصات. من هذا المنطلق تشكل المدينة و في الوقت نفسه:

1.2 المدينة إطار فيزيائي:

كتلة من البنايات المجتمعة في نفس الموقع مربوطة بمختلف الشبكات التقنية، تجسد الجانب المرئي أو المنظوري لمختلف النشاطات أو ما يعرف بالاستخدامات الحضرية، من هنا فالمدينة موقع مبني ينتمي لموقع طبيعي، إذ يستجيب الموقع الجغرافي للحتميات الاقتصادية و السياسية، فمدينة القرون الوسطى *Moyen Âge* وليدة التجارة، نمت و تطورت غالبا في موقع يشكل نقطة عبور إلزامية أو نقطة انفصام للحمولة *point de rupture de charge*، كالمرافئ، أو ملتقيات طبيعية للأنهار.

في هذا الموقع الطبيعي كل حقبة تاريخية تأخذ مكانها كجزء مهيأ من المدينة و أحيانا نجد إعادة تهيئة لحقبة سابقة، فالمواقع الطبيعية تستجيب لحتميات دقيقة ذات طابع اقتصادي أو سياسي.

2.2 المدينة نقطة قوة بالنسبة للمجال الاقتصادي:

النظريات الاقتصادية قل ما تعتمد على تأثير عوامل تموضع مختلف النشاطات للمجال الاقتصادي بالرغم من كون هذا الأخير ليس بالمجال موحد الخصائص *isotrope* فشبكة المدن تهيكل هذا المجال بصورة قوية.

1.2.2القطاع الأولي: le secteur primaire

ترتبط الزراعة و المناجم ارتباطا مباشرا بالإمكانيات و القدرات الجغرافية التي تسبق تدخل الوجود البشري: لا وجود للزراعة بدون أرض خصبة *sol arable* و ماء و لا لمناجم بدون *gisement* طبقات تحتوي معادن أو مواد أولية.

النشاط الزراعي يستوجب:

- وجود الأسواق
- مساكن للمزارعين (عامل المسافة الواجب قطعها بين المزرعة و الحقل) من هذا المنطلق تأسس المجال الريفي من شبكة من القرى...الخ

استغلال المناجم:

يتطلب تمركز هام للسكان، لكن الاقتصاد الذي يعتمد على الصناعة المنجمية حساس و هش للأسباب التالية:

- استنزاف عرق المعادن،
- اكتشاف مناجم جديدة ذات موقع أفضل و مردود إنتاج أكبر.
- التحولات التكنولوجية لشبكات النقل.

النتيجة تراجع رهيب للمدن التي أسست على أساس النشاط المنجمي ما لبثت أن تركت من طرف الباحثين عن الذهب، لهذا السبب قدر المدينة المنجمية – التي تشكل الوظيفة أو النشاط الأصلي النشاط المسيطر– غامضا أي مستقبلها.

2.2.2 القطاع الثانوي: le secteur secondaire

إذ تعد الثورة الصناعية المحفز الرئيسي لبروز هذا القطاع، ميلاد أو إنشاء التجمعات الحضرية كفضاء رئيسي للإنتاج و كذا تسويق المنتوجات المصنعة، بالمقابل أضحت المدينة تمارس قوة جذب النشاط الصناعي نظرا لوفرة اليد العاملة و كذا امتداد الأسواق الاستهلاكية لتسويق الإنتاج المتزايد.

المدينة وسط مناسب للصناعة إذ تعتبر وسيلة ناجعة تسمح للعملاء الاقتصاديين بالحصول على خدمات بشرط التكتل في رقعة محدودة:

- شبكات النقل،
- تجهيزات و خدمات عمومية،
- مقدمي خدمات من القطاع الخاص: بنوك، تأمين، مكاتب دراسات، خبراء...

3.2.2القطاع الثالثي: le secteur tertiaire

تتعلق بنشاطات تقديم الخدمات الذي يعرف عموما بالقطاع الثالثي يشمل موظفي البنوك و الخدمات العمومية الشائعة المكملة للنشاط الصناعي. يصعب التمييز بين القطاعين الثانوي و الثالثي (الكثير من عمال المؤسسات الصناعية يشغلون وظائف تابعة للقطاع الثالثي (الدراسات، التنسيق و التعاون و التجارة).

بالإضافة للوظائف السالفة الذكر فالقطاع الثالثي يضم نشاطات حضرية خاصة، سواء تعلق الأمر بخدمات يقدمها الخواص (تجار، أطباء، مستشارين...) مكونة شبكة معقدة لكونها مرتبطة و مكملة بعضها لبعض، فعيادة الطبيب تلزم مجاورة الصيدلي، مخبر تحاليل، أطباء أخصائيين و مكاتب الضمان الاجتماعي.

لهذا السبب النشاط الثالثي قطعة أساسية للمدينة:

- غيابه يخلق ظاهرة *la cité dortoir* أحياء للنوم،
- توزيعه في المدينة يكون بصورة غير منتظمة،
- المناطق التي يتمركز فيه تخلق ظاهرة المركزية الناتجة عن التفاعل *interaction* بين مختلف أصناف النشاطات الثالثية

– مركز وحيد في المدن الصغيرة المتوسطة

– شبكة من المراكز بالمدن الميتروبولية مع تدرج في المراكز الرئيسية و الثانوية بالإضافة إلى سلسلة من المراكز متنوعة مراكز أعمال، الترفيه، التجارة الكبيرة و الحياة السياسية.

3.2 المدينة مكان خاص و مفضل للعلاقات الاجتماعية:

حيث المدينة المكان المفضل لسريان العلاقات الاجتماعية و تنوعها العمل في البيئة السكنية و بين أفراد الاسرة الواحدة و الجماعة الإثنية، بمعنى آخر المدينة مكان تجمع حشود الناس بعواطفهم، أحلامهم، حياتهم اليومية علاقاتهم لتكوين مجتمع، فكل فرد يندرج ضمن شبكة من العلاقات الاجتماعية: عائلية، أصدقاء، زملاء عمل، نقابات، جمعيات، نوادي..الخ. فهو ينتمي لفئة عمرية، لصنف اجتماعي معين بالاعتماد على وضعه الشخصي في المجتمع، علاقاته مع المدينة تختلف، طريقة تصرفاته مختلفة.

يتجسد تحقيق البعد الاجتماعي مجاليا في مستويات عدة، المسكن (غرفة المعيشة) وحدة الجوار (الساحات و المرافق الاجتماعية) أما أعلى درجات تجسيدها فتتجلى في تجمعات سكنية تخص جماعات اجتماعية معينة دون غيرها سواء كانت ارادية أو غير ذلك، نذكر منها المجمعات السكنية المغلقة *gate communities* المخصصة للفئات الميسورة بل الأغنياء و التي تعتمد على تخصيص بيئة سكنية معزولة عن باقي البيئات الأخرى يتم مرقبة الوافدين إليها، يقابلها بيئات سكنية مخصصة للفئات الهشة

حيث يسود الاحساس بالإقصاء و التهميش و تنتشر الجريمة و الآفات الاجتماعية و يطلق عليها مجازا الغيتوهات *les ghettos*[2].

3 المدينة كنسق:

نجاعة عملية التخطيط تمر حتما بالإدراك و الوعي لماهية المدينة أو المجال الحضري–مكوناته أي عناصره و العلاقات التي تربطها– هذه الصورة الأولية تعطي انطباعا بالغموض و التعقيد الذي يكتنف هذا المفهوم و التي بدورها الأسباب التي عجلت بظهور المقاربة النسقية لمعالجة هذا الوضع و بلوغ نتائج مرضية فيما يتعلق بالتخطيط.

1.3 مفهوم النسقية:

المقاربة النسقية جاءت كإجابة حتمية لما تم اكتشافه من التعقيد الذي يميز العالم المحيط بنا، فبعد فشل المنهجية الديكارتية في إجاد تفسير للظواهر الطبيعية عن طريق إجراءات بسيطة يحاول المرء من خلاله إيجاد الحقيقة، و التي تعتمد أساسا على الحدس و الاستنباط كمحاولة لتقليل و تذليل التعقيد إلى المكونات الأولية لمختلف النظم (الأنساق)، وصفت بالطريقة الرائعة حينئذ لكونها أصل التقدم الكبير الذي أحرزه العلم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

ومع ذلك، اتضح أن هذه الطريقة، و إن كانت مناسبة تمامًا لدراسة الأنظمة المستقرة التي تتكون من عدد محدود من العناصر ذات التفاعلات الخطية (أي التي يمكن وصفها بقوانين رياضية مستمرة وإضافية) لم تعد مناسبة باعتبار أن التعقيد المنظم كما نصادفه في النظم البيولوجية والاقتصادية والاجتماعية الكبيرة. هناك حاجة إلى نهج آخر، يبنى على تمثيلات جديدة للواقع مع مراعاة عدم الاستقرار، والانفتاح، والتقلب،

[2] يشير مصطلح "الغيتو" في المخيلة الجماعية إلى مجال هامشي، منعزل و منقطع عن بقية المجتمع. ارتبط " الغيتو " لمدة عشر سنوات بـ "الضواحي"

والفوضى، والاضطراب، والغموض، والإبداع، والتناقض. كل هذه الجوانب التي كانت تعتبر في وقت مضى غير علمية من قبل أنصار الوضعية الفلسفية السائدة، تعتبر الآن العديد من المتطلبات الأساسية لفهم تعقيد الواقع. " إذا لم نغير طريقة تفكيرنا، فلن نكون قادرين على حل المشكلات التي نخلقها من خلال طرقنا الحالية في التفكير"[3] هذه الطريقة الجديدة في التفكير لها اسم: المقاربة النسقية.

المقاربة النسقية فتحت مسارًا أصليًا وواعدًا للبحث والعمل. لقد أدى هذا النهج بالفعل إلى ظهور العديد من التطبيقات، سواء في علم الأحياء، أو علم البيئة، أو الاقتصاد، أو إدارة الأعمال، أو تخطيط المدن، أو التخطيط الإقليمي،...إلخ. تعتمد المقاربة النسقية على الفهم و الادراك الملموس لعدد من المفاهيم مثل: النظام ، والتفاعل ، والتغذية الراجعة ، والتنظيم ، وضبط النظام (regulation) ، والغاية ، والرؤية أو النظرة الشاملة و التطور...إلخ.

هذه المفاهيم جد هامة في التخطيط بالنظر للمفاهيم الخاصة بالتخطيط والواردة في الفصل الأول.

2.3 المجال الحضري كنسق:

المدينة كنسق عام يحمل في طياتها أنساق ثانوية (النسق الفرعي الخاص بالتهيئة) هذا النسق يتقاطع و أهداف التخطيط العمراني، نتناول فيما يلي العناصر المكونة لهذا النسق و نعطي مثالا نشرح من خلاله العلاقات بين هذه العناصر للفهم الجيد لمنهج التفكير و المعالجة ضمن المقاربة النسقية.

1.2.3تعريف النسقية (la systémique)

اختصاص جديد يجمع المساعي النظرية و التطبيقية و المنهجية المرتبطة بدراسة كل ما يعتبر أو يعرف بأنه معقد للتمكن من تناوله بأسلوب مبسط، حيث يطرح مشكلات جوهرية تتعلق بـ: معرفة حدود النسق و وعلاقاته الداخلية و الخارجية و هيكلته.

[3] ألبيرت أينشتاين

المقاربة النسقية، الذي يسمى أحيانًا التحليل النسقي، هو مجال متعدد التخصصات يتعلق بدراسة الأشياء في تعقيدها، كمحاولة لفهم موضوع الدراسة ضمن بيئته، في أدائه، في آلياته، فيما لا يظهر من خلال جمع أجزئه أو مكوناته (بدون معرفة العلاقات بينها)، يهدف هذا المسعى إلى تحديد:

- "الغاية" من النظام
- مستويات التنظيم.
- الحالات المستقرة المحتملة
- التبادلات بين الطرفين
- عوامل التوازن وعدم التوازن
- الحلقات المنطقية وديناميتاها

2.2.3غاية أو هدف النسق:

الغرض و الغاية من النظام الحي هو ضمان بقائه في مواجهة الاضطرابات من بيئته الخارجية، كنتيجة لذلك، يحاول الحفاظ على استقراره المورفولوجي والوظيفي تجاه هذه الاضطرابات، نظرا لظروف و متطلبات معينة يتحول النظام أو النسق من خلال العمل على المتغيرات الهيكلية (الجانب النوعي) ومتغيرات الأداء (الجوانب الكمية)، هذا ما يعرف بالتكيف مع المحيط. ثم في المقام الثاني تأتي القدرة على إعادة التنظيم، هذه الخاصية المميزة للنظام الحي كـ "مركز قيادة" يعمل على عناصره من أجل ضمان مهمة مزدوجة، للحفاظ على الاستقرار الداخلي للنظام والتكيف باستمرار مع التغيرات في بيئته. على عكس النظام الحيوي الذي يحتوي نظاما تنظيميا ذاتيا *autorégulateur* فإن النظام الحضري يتطلب مركز لقيادة هذه المهام المرتبطة بالتنظيم التكيفي ، كما يبنه المخطط أسفله.

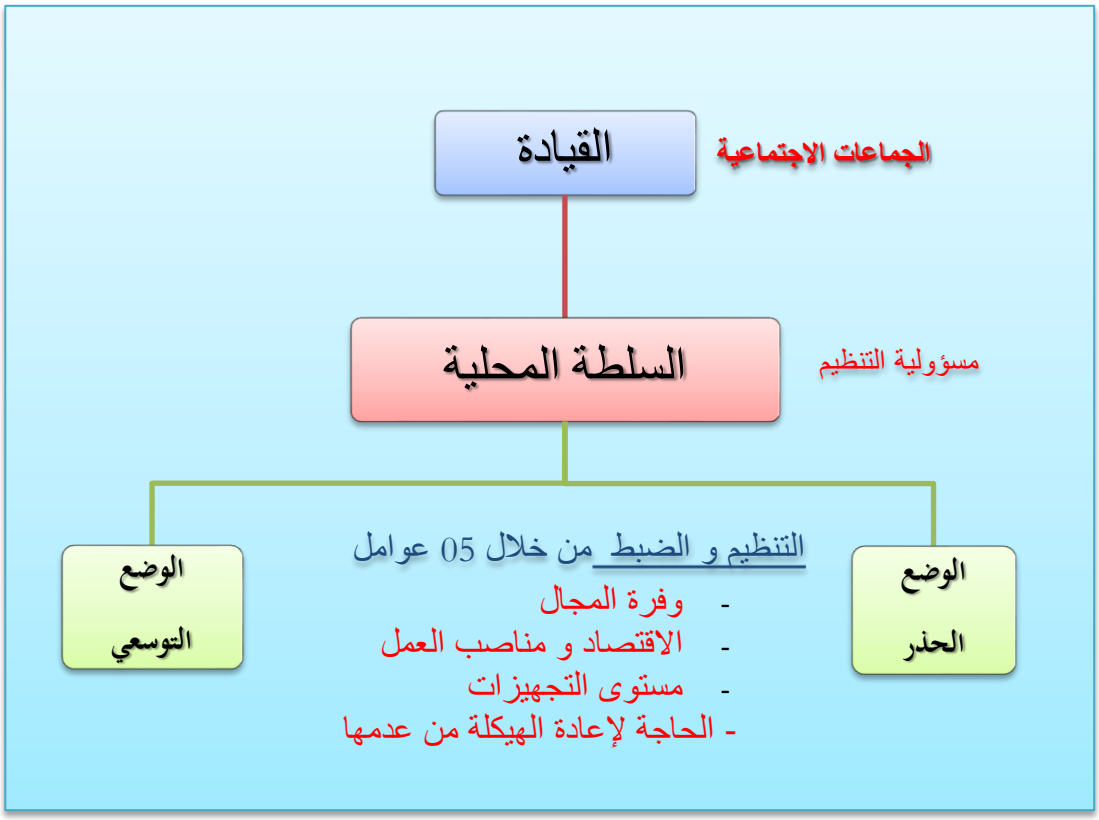

3.2.3ضبط النظام الحضري la régulation:

نتناول في هذه النقطة العناصر المكونة للنسق الحضري و العلاقات التي تربطها لكي يشتغل هذا الأخير بصورة أو شكل سوي، فإن تمكنا من فهم النسق و مكوناته و العلاقات و كيفية تأثيرها و الخلل فيها –و الذي يؤثر على النسق برمته (المقصود هنا المدينة)– فإننا سنتمكن من العملية التخطيطية بصورة مثالية. فيما يلي شكل يمثل مكونات النسق الحضري ثم نفصل في كيفية نشأة المدينة و تعقيداتها ضمن المقاربة النسقية.

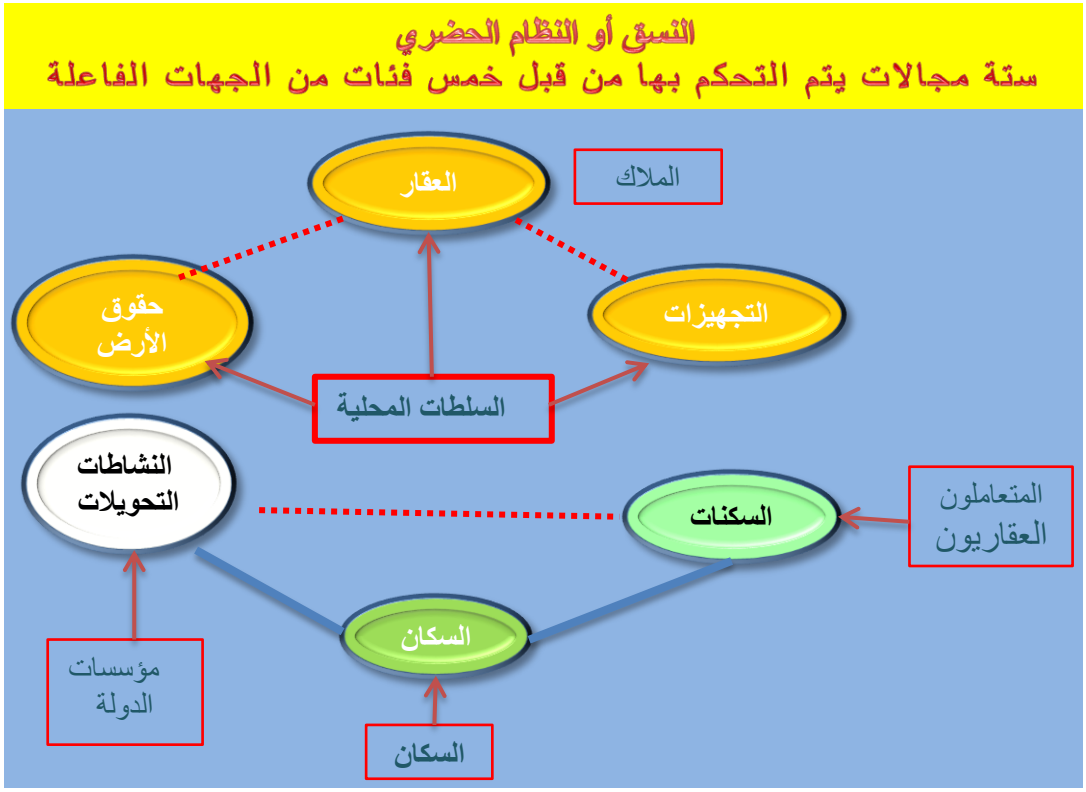

عموما تصادف السلطات المحلية بصفتها مركز قيادة النظام أو النسق الحضري وضعين أو موقفين يتحدد على إثرها مستقبل المدينة إما أن يكون توسعيا أو حذرا، تبني أحد الخيارين يبنى لما تمليه العوامل المؤثرة و التي سيأتي ذكرها لاحقا، أما ما يخص الوضع التوسعي فيشر لإمكانية اتخاذ كل القرارات التي من شأنها أن تقود لزيادة مجال المدينة و سكانها و ما يرافقه من تنمية اقتصادية و اجتماعية وتحسين بل و جودة نوعية الحياة الحضرية بناء على تحقق العوامل المرتبطة بالمجال و الظروف الاقتصادية و النمو السكاني و غيرها، على العكس من ذلك الوضع الحذر و هو التريث من العمل توسع المدينة و نموها الحضري نظرا لوجود معوقات تكون حائلا لبلوغ ذلك تتمثل في الوضع الاقتصادي الصعب على سبيل المثال أو ندرة العقار أو تراجع النمو السكاني...الخ.

نذكر فيما يلي الأصناف المنطقية الخمسة من العوامل الأكثر تأثيرا:

أولا المجال:

وفرة المساحة يضاف له ثقل سياسي حاسم لملاك الأراضي يدفع نحو التوسع ينتج عنه مكاسب لقيمة الأرض (*plus-values foncières*) **الوضع التوسعي**

- القيود الجغرافية أو الإدارية هي الدافع وراء الرغبة في تحقيق الاستقرار السكاني لتلافي ظاهرة التشبع أو الاكتظاظ. **الوضع الحذر**

ثانيا السكان:

- التطور الديموغرافي: ينجم عنه تدفق متزايد للسكان في الوهلة الأول العمل على استيعاب السكان ثم التوسع. **الوضع التوسعي**
- انخفاض عدد السكان ينجر عنه، مدارس فارغة و ركود في التجارة ثم عائدات ضريبية متناقصة.
- السلطة المحلية تحث على تعزيز أوجه جديدة من النمو. **الوضع الحذر**

ثالثا النشاط الاقتصادي:

- الشغل الشاغل للسلطة هو البحث عن توازن بين الإسكان و الوظائف (مناصب شغل)، يدفع الجماعات المحلية التي تعاني من عجز من حيث التوظيف لإعطاء الأولوية لأراضيها المهيئة للأنشطة (تجميد بناء المساكن). **الوضع الحذر**
- الجماعات المحلية الغنية بالوظائف والإيرادات الضريبية تتجه نحو الاستثمار في المرافق العامة و استقبال سكان جدد. **الوضع التوسعي**

رابعا مستوى التجهيزات:

- لما مستوى الخدمة للتجهيزات يسجل فائضا في البنية التحتية والخدمات، أي القدرة على استيعاب المزيد من السكان يشكل عاملا مناسبا و ملائما للتوسع.

- بالمقابل، فإن مستوى العجز من حيث التجهيزات العمرانية يعتبر مصدرا مثبطا (الموقف أو الوضع الحذر)، ويشجع الجماعات المحلية على تعويض النقص قبل قبول سكان جدد = مساهمون + ضغط. ⟸ الوضع الحذر

خامسا إعادة الهيكلة العمرانية:

- في بعض الأحيان تعتبر إعادة الهيكلة ضرورية من أجل تكييف مورفولوجية المدينة بعد فترة من النمو غير المخطط له بشكل كافٍ، هذا الوضع يدفع إلى توسيع الطرق الرئيسية، وتغيير الهيكلة ؛ الخطة الإشعاعية تحل محل شكل التعمير "أصابع القفازات" أرجل الإوزة ، وتطوير مراكز جديدة "مراكز توازن ثانوية. ⟸ الوضع التوسعي

4 كيفية سريان النسق الحضري:

1.4 التنمية العمرانية من خلال إنشاء الأنشطة:

الشركات والمؤسسات العمومية والخاصة المحفز الرئيسي و المحرك الأساسي للنظام الحضري و ديناميته عن طريق خلق مناصب عمل التي تعمل على توسع مجالها و تقلصها يجر لتراجع نموها.

منذ فجر الانسانية و تحديدا منذ العهد الحجر عمل الفائض في الناتج الزراعي على تغدية و إنشاء نشاطات سياسية و دينية و عسكرية و تجارية و حرفية. في عهد الثورة الصناعية نمت المدينة و ازدهرت على حساب تراجع النشاط الزراعي، نفس المنطق ينسحب على المدينة فبتراجع النشاط الصناعي تتكفئ المدينة و تتراجع.

2.4 الوظائف المصدرة "المباشرة" والوظائف المستحدثة المحلية "

تؤكد النظرية الاقتصادية الأساسية على دور أنشطة خلق فرص العمل في امتداد المدن وبعبارة أخرى فإن تطوير الأنشطة المصدرة، أي الأنشطة التي تنتج السلع والخدمات للمستهلكين خارج المدينة هو المحرك الرئيسي للنمو الحضري. مثلا تشييد مصنع للإنتاج الثلاجات على سبيل المثال يخلق مناصب شغل مباشرة، تسمى بالوظائف المصدرة (للمنتوج خارج حدود المدينة و هي التي تجلب الثروة للمدينة)، ثم

استقرار عمال المصنع و عائلاتهم يستوجب خدمات (مخابز محلات تجارية حلاق خدمات اجتماعية و غيرها) القائمين بهذه الوظائف يصنفون ضمن الوظائف المحلية المستحدثة، فكل وظيفة مصنفة ضمن الأنشطة المصدرة يحدث أو يولد وظيفة واحدة ضمن الأنشطة المحلية المستحدثة.

رحيل الوظائف المباشرة بعد إغلاق مصنع أو ثكنة أو إدارة يؤدي إلى اختفاء الوظائف المستحدثة، هذا الوضع من جهة و من جهة ثانية نمو مدن و ازدهارها بالرغم من عدم اعتمادها عن الوظائف أو الأنشطة المصدرة عجل في النظر بالقاعدة الاقتصادية القائمة على مناصب الشغل لتحل محلها القاعدة التي تعتمد على دخل و ارادات السكان.

3.4 ثنائيات التفاعل أساس سريان النسق:

كما تم الاشارة له سابقا فالتعقيد الذي يميز المقاربة النسقية مرده للعلاقات الخفية – غالبا – التي تربط عناصره، من ثمة فهم طريقة سريان النسق يمر حتما عبر الخوض في هذه الأخيرة و لما كان النسق الحضري يتألف من خمسة عناصر فسنتطرق فيما يلي للعلاقات الثنائية حسب أهميتها و كيف تؤثر في باقي العناصر من جهة و من جهة ثانية على النسق أو النظام ككل.

1.3.4 الثنائية النشاطات و الدخل / الديموغرافيا:

انشاء مناصب شغل مصدرة أو محلية مستحدثة بالإضافة لزيادة الدخل المحلي يفضي لنمو اقتصادي بدوره يستقطب حركة هجرة من جهة و زيادة طبيعية من جهة ثانية فيزيد عدد سكان المدينة، بالمقابل انكماش النمو الاقتصادي يؤدي لتراجع الزيادة السكانية (الهجرة من المدينة).

2.3.4 الثنائية ديموغرافيا / المساكن:

الزيادة السكانية الناجمة عن النمو الاقتصادي تلزم انجاز المزيد من السكنات و التجهيزات العمومية إضافة للحاجة لتجديد الحضيرة السكنية الموجودة مما يعمل على ترقية مستوى المعيشة أو جودة الحياة، لا يتم هذا إلا في إطار التهيئة أو إعادة التهيئة العمرانية و التي هي في الأساس من مهام السلطة المحلية.

3.3.4 التفاعل متعدد المستويات:

إنه جوهر المقاربة النسقية حيث يتم تجاوز العلاقة السببية الديكارتية التي تربط عنصرين بل كل العناصر مرتبطة و تؤثر بعضها ببعض، المخطط الموالي يفسر هذه الحالة لنخلص في النهاية لمخطط عمراني. فالعقار هو السند الأساسي لكل نشاط حيوي بدونه لا يمكن للمسكن و لا لنشاط اقتصادي أن يرى النور، ثم بدون نشاطات اقتصادية و تحويلات مالية لا يمكن استقطاب السكان و لا الحصول على موارد مالية على صورة ضرائب و رسوم تساهم في انجاز المرافق العمومية. في الأخير مساكن و تجهيزات و منشآت اقتصادية و مرافق و تجهيزات تنجز على قطع أرضية تستدعي المخطط العمراني.

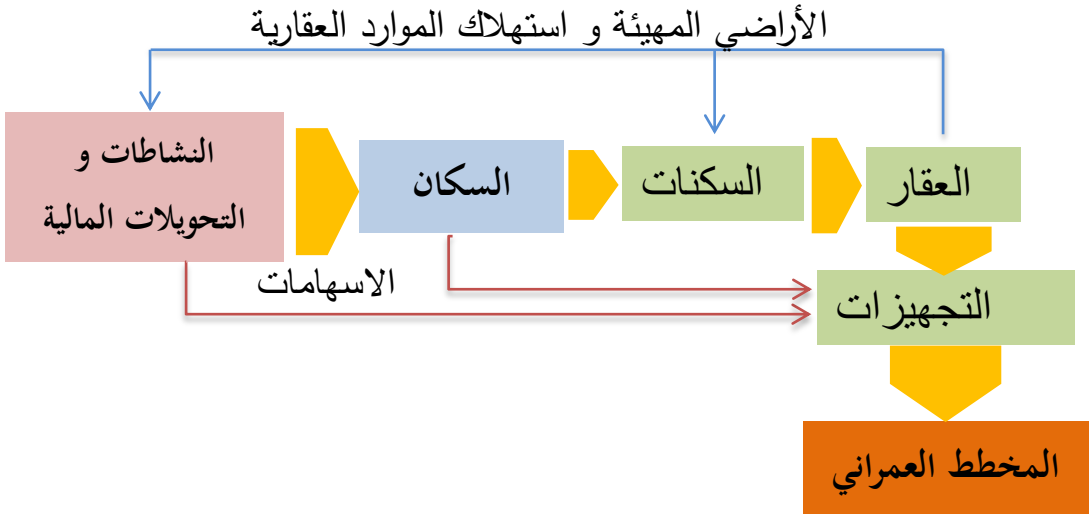

5 التخطيط العمراني و المقاربة النسقية:

انطلاقا من الحوصلة لما تم بلوغه من مفهوم التخطيط العمراني في الاجزاء السابقة و كذا مفهوم المدينة كنسق حضري و إدراك أهمية النسق في مجابهة التعقيدات التي تشهدها الحياة الحضرية و تبسيطها، من اللزوم مباشرة عملية التخطيط كمسعى يهدف لاستشراف مستقبل أفضل للمدينة ضمن هذا المنظور أي المقاربة النسقية كمنهجية متعددة الأبعاد تتجلى من خلال البعد الشامل لعملية التخطيط أي توقع ما ستقدمه المدينة للجزء المراد تخطيطه من جهة و تأثير هذا الجزء على المجال الحضري (المدينة بعد تنفيذه) يضاف لهذه الخاصية الأبعاد الأخرى كالمرونة والتغذية العكسية و قابلية التغير أو التطور يصبح وفق هذا التصور المخطط (*le plan*) أداة أو وسيلة و ليست غاية في حد ذاتها ضمن مسعى التخطيط

العمراني (أنظر الشكل أسفله). لا يمكن تحقيق هذا التصور إلا بتضافر جهود كل من له صلة بالعملية التخطيطية و قد تم التطرق لأهم الاختصاصات الفاعلة في الفصل الخاص بمدخل التخطيط العنوان الاختصاصات المساهمة في التخطيط العمراني.

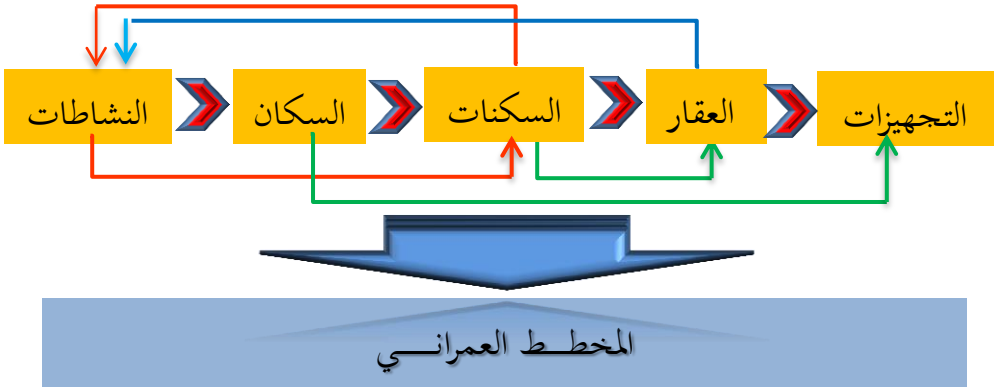

هذا الشكل يلخص تصور التخطيط العمراني وفق المقاربة النسقية حيث العناصر الأساسية المرتبطة بمسعى و مسار التخطيط العمراني و علاقاتها المعقدة لبلوغ المخطط حيث يبرز مفهوم التغذية الراجحة أو الرجعية (*rétroaction = feedback*)من خلال الأسهم و اتجاهها في المخطط و الذي يعبر على أنه يجب تلافي النتيجة النهائية غير قابلة للتعديل. قراءة سريعة للمخطط، برمجة النشاطات و التي تعتبر المحرك الرئيسي للنمو الحضري كم تم الاشارة له سالفا يعتمد أساسا على العنصر البشري (النشاطات الانسانية) بدوره العنصر البشري و استقراره يتطلب توفر السكنات و التي تشيد على قطعة أرضية (العقار)، توفير النقاط السالفة ينقلنا للمستوى الثاني للمتطلبات و هي الخدمات التي ترفع من جودة الحياة، ثم في الأخير الكل ينفذ ضمن ما يعرف بالمخطط العمراني، هذه النظرة البسيطة لمسار التخطيط حسب النظرية السببية الديكارتية، أما المقاربة النسقية فتتجلى في تأثير كل العناصر بعضها ببعض خلال فترات زمنية مختلفة، فندرة العقار يؤثر في عدد السكنات بدورها تؤثر في نوع النشاطات و عددها و هكذا دواليك.